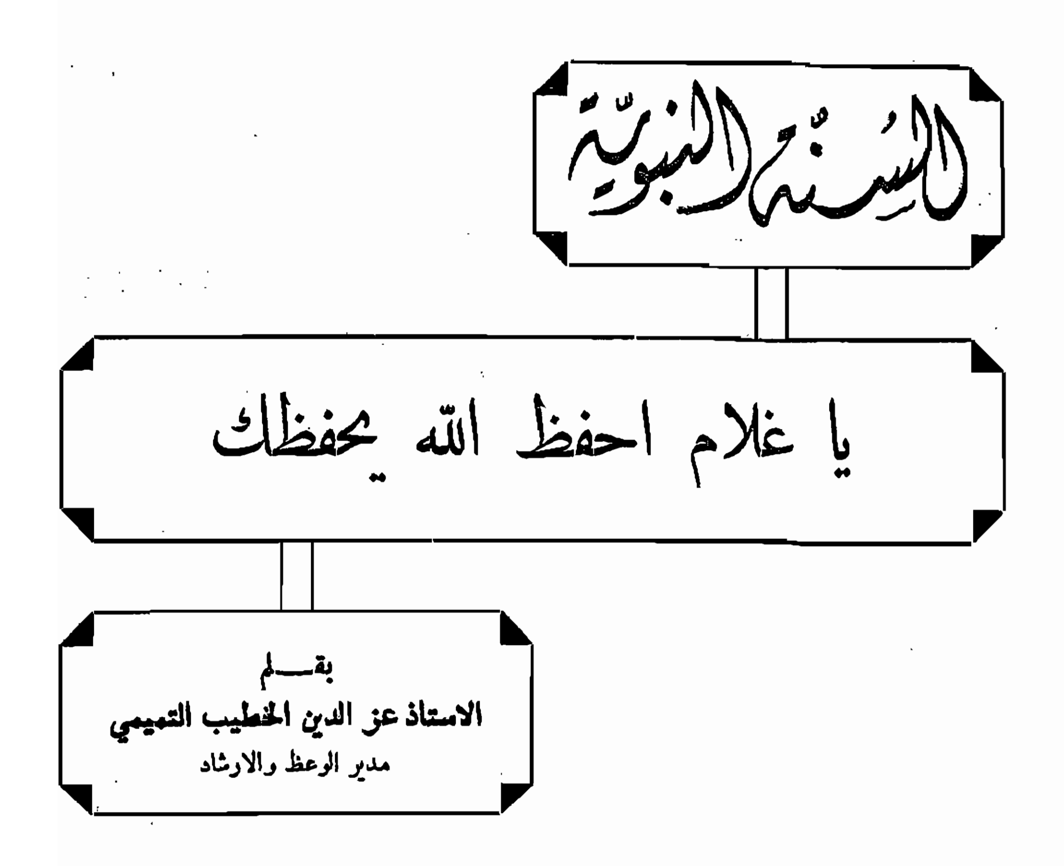


عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال : يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الاقلام وطويت الصحف» .

(رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح)

التعريف بالراوي

عبد الله بن عباس هو خامس الصحابة المكثرين من الرواية يلي في ذلك السيدة عائشة فقد روي له ١٦٦٠ حديثاً وهو ابن عم الرسول ﷺ وابوه العباس بن عبد المطلب وامـه هي أم الفضل « لبابة » بنت الحارث الهلالية اخت ام المؤمنين ميمونة .

كان مولده قبل الهجرة بثلاث سنوات ودعا له النبي ﷺ بقوله : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فاشتهر ابن عباس بالعلم الغزير والفقه الدقيق حتى صارت تشد اليه الرحال للفتوى والرواية ، وقد استجاب الله دعاء رسوله له بالحكمة ، وكان يقال له الحبر والبحر وترجمان القران ، وقد لقبه الرسول ﷺ : ترجمان القرآن وقد شهد ابن عباس حنيناً وفتح مكة وحجة الوداع وشهد فتح افريقية مع ابن ابي السرح والجمل وصفين مع علي وقد جعله على ثانيه على الولاية ، وفي اخريات أيامه اصيب بصره كما اصيب بذلك ابوه وجده من قبل وتوفي بالطائف عام ٦٨ هـ وهو ابن احدى او اثنتين وسبعين سنة .

الشـرح

روي هذا الحديث بالفاظ متعددة ، وقد نص العلماء على انه حديث جليل لما يشتمل عليه من وصايا جليلة .

واولى هذه الوصايا ، قوله ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس (احفظ الله) أي احفظ حدوده وعهوده واوامره ونواهيه ، وحفظ الحدود بعدم تخطيها وحفظ العهود بالوفاء بها وحفظ الاوامر بامتثالها وطاعتها وحفظ النواهي باجتنابها .

انك ان فعلت ذلك فستجد الله حافظاً لك من شرور الدارين محققاً سعادة الحياتين ومن يتق الله يجعل له مخرجاً .

وثانية هذه الوصايا، قوله ﷺ (واذا سألت فاسأل الله) والمعنى افرد الله بالسؤال فانه وحده المستعان على قضاء الحوائج (فهو الصمد) الذي يقصد في الحاجات .

أخرج الترمذي مرفوعاً (سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل) وورد كذلك من لا يسأل الله يغضب عليه . وورد (ان الله يحب الملحين في الدعاء) وقد بايع النبي ﷺ جماعة من الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم الصديق وابو ذر وثوبان .

وثالث هذه الوصايا، قوله ﷺ (اذا استعنت فاستعن بالله) هذه الوصية مأخوذة من قوله تعالى : (واياك نستعين) ، اي نخصك بالاستعانة ونفردك بها ، وفي افراد الله بالاستعانة دلالة على ان العبد عاجز عن الاستقلال بامور نفسه في الطاعات ولا يستطيع أن يقوم بمصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل فمن اعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول .

وقد اشتمل الحديث الشريف على موضوع آخر هو موضوع القدر وقد جاء في سياق الوصايا فكان النبي ﷺ يوصي ابن عباس ان يعتقد بقدر الله وان يطمئن الى تقديره في

الازل وان كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ – وهذا الايمان يجلب الطمأنينـة الكاملة للعبد والرضا التام للنفس ويقول رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره احرقه الله بالنار » .

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه .

وقال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب، فقال رب وما اكتب ؟ فقال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس مني .

هذه الاحاديث جاءت للدلالة على ان الله تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم اعمـال العباد قبل ان تصدر منهم وما يعلم انه يقع لا بد ان يقع وانه لا يقع شيء الا مما علمه .

وهذا لا يعني الاتـكال لان القدر والكتابة اي علم الله لا ينكشف لاحـــد من الخلق فعلى أي شيء يتكل ؟ ولهذا قال الرسول ﷺ لمن سأله الا نتكل؟ قال : لا ، أي نهاه عن الاتـكال ولم يكتف بذلك بل قال له ايضاً . (اعملوا) اي امره بالعمل .

وعقيدة القدر في الاسلام من اعظم الامور التي تدفع المؤمنين الى العمل والحركة ، على غير ما يظن كثيراً من الجهال ، من ان تقـدير الله للاشياء أزلاً فيه دعوة الى الاتـكاليـــة السلبية الجامدة فهذا ظن خاطىء ووهم وهو ابعد ما يكون عن الفهم الصحيح لمعنى القدر لمخالفته روح الاسلام ونصوصه الداعية الى العمل الموجبه للسعي . تلـــك النصوص التي تقرن العمل الصالح بالايمان كطريقة حتمية للفوز في الآخرة . ومنهج حتمـي لنيل العزة والقوة في الدنيا وهذا ما يفسر لنا عظمة المسلمين في تاريخهم افراداً وجماعة . وأعني بذلك المسلمين الذين تبـــدت الايجابية في حياتهم في اروع مظاهرها وادق مدلولاتها في مجالات الحياة كافة فكرية وعلمية وسياسية واقتصادية وتربوية وعسكرية ، ولم يكونوا يوماً من الايام مؤمنين بما يسمى المصادفة والحظوظ العفوية كما لم يكونوا مطلقاً متعلقين بالاوهـــام ويجرون وراء سراب الاماني بل تاريخهم ينبىء عن انهم شمروا عن ساعد الجـد ، ووطنوا انفسهم على مصارعة الحياة والكون ليثبتوا وجودهم على اسس قوية من الفكر والبحث والعمل والسعي واستغلال طاقات الارض والكون بقدر ما تسمح به ظروفهم ولذا فقـد تخطوا عقبات الحياة بكل ثقة وبكل اعتزاز .